لسان العرب

(تابع لما قبل)

وجاء بعد ذلك (س ٨) « طريقٌ وعث في طريقٍ وَعُوث » وهذه الكلمات الاخيرة لا معنى لها وصوابها . من طُرُقٍ وُعوث . بلفظ الجمع في « طُرُق » مجروراً « بمن » وضبط « وُعوث » بضم اوله وهو جمع وَعْث

وفي مادة (ب رح - ص ٢٣٤ س ١٣ - ١٤) « وفي المثل من لي بالسانح بعد البارح يُضرَب للرجل يُسيء الرجلَ الخ » وصوابهُ « يَسُوء الرجلَ » بصيغة المجرد لانهُ يقال ساءَهُ يسوءهُ ولا يقال اساءهُ

وفي هذه الصفحة (س ١٦ - ١٧) « وفي المثل هو كبارح الأُرويّ قليلاً ما يُرَى » وضُبط « الأُرويّ » هكذا بضم اوله وبالياء المشددة آخرهُ . وكُرِّر كذلك مرةً اخرى في الموضع نفسهِ وصوابهُ « الأَرْوَى » بفتح الهمزة والواو مثال أَرْطى وهو اسم جمع للأُرويَّة

وفي مادة (ن ض ح - ص ٤٥٩ س ٢) « نضح الرجلُ بالعرق نضحاً فَضَّ بهِ » رُوي « فضَّ » هكذا بصورة مضاعف الثلاثي وهو غريب في هذا الموضع وما احرى هذه اللفظة ان يكون اصلها « ارفضَّ » على افعلَّ بتشديد اللام يقال ارفضَّ العرق والدمع اذا تتابع سيلانهُ وترشش وهو اللفظ المستعمل في مثل هذا

وفي مادة (ف رخ - ص ١١ س ١٥ - ١٦) « افرخت البيضة والطائرة . . طار لها فرخ » هكذا بالطاء في « طار » وهو غير المراد هنا والصواب « صار » بالصاد

وفي مادة (و س د ـ ص ٤٧٥ س ١٦) «والتوسيد ان تُمَدّ الثلام طولاً حيث تبلغهُ البقر» وبالهامش «قولهُ الثلام كذا بالاصل وليُنظَر» اهـ قلنا صواب هذه اللفظة «التِلام» بالتآء المثناة وهو لفظٌ مفرد ومعناه مَشَقُّ الكراب في الارض مثل التَلَم بفتحتين واللفظان مذكوران في موضعهما من اللسان. ومن الغريب ان صاحب تاج العروس روى هذه اللفظة في هذا الموضع بالثآء المثلثة على حدّ ما جآء في لسان العرب ومع شدة حرصهِ على ذكر ما فات صاحب القاموس لم يستدرك عليهِ التلام في موضعهِ فكأنهُ سجَّل على هذه الغلطة ان لا تصحح من نفس كتابهِ. وبقي هنا قولهُ «تُمَدّ» بالتآء الفوقية وصوابهُ «يُمدّ» باليآء

وفي مادة (و ل د ـ ص ٤٨٣ س ١٨) «كوثْن ووثْن» وضُبط «وثن» في الموضع الثاني بفتح فسكون وصوابهُ «ووَثَن» بفتحتين

وفي هذه المادة (ص ٤٨٥ س ١٠ ـ ١١) «ويقال ولَّد الرجل غنمهُ توليداً كما يقال نتَّج ابلهُ» وضُبط «نتج» بتشديد التآء على حدّ ولَّد وصوابهُ «نَتَج» بالتخفيف من حدّ ضرب. ومثلهُ في الصفحة التالية (س ١٦ ـ ١٧) والعرب تقول نتَّج فلان ناقتهُ اذا ولدت ولدها وهو يلي ذلك منها وهي منتوجة» وضُبط «نتج» هنا بالتشديد ايضاً مع قولهِ في آخر العبارة «وهي منتوجة» وهو غريب

وفي مادة (ا ذ ذ ـ في اول المادة) «زعم ابن دريد ان همزة أذَّ بدل من هآء هد» والصواب «من هآء هذَّ». وجآء بعد ذلك ما صورتهُ

قال يؤُذُّ بالشفرة ايَّ أَذِّ من قَمَعٍ ومأنةٍ وفِلذِ

وهو كما لا يخفى بيت من الرجز لكن جُعِل لفظ « قال » في اولهِ من الفاظ البيت وانما هو من كلام المؤلف فالصواب نقلهُ الى آخر السطر السابق

وفي مادة (ح ذ ذ ـ ص ١٥ س ٦) رُوي قول الشاعر

تعييهِ حُذَّة فلذٍ ان الم بها من الشوآء ويروي شربهُ الغُمَرُ

وبالهامش « قولهُ تعييهِ الخ كذا بالاصل والذي في الصحاح وشرح القاموس تكفيهِ الخ » . قلنا كلتا الروايتين صحيحة الا ان لفظ « تعييهِ » هنا قد وقع فيهِ تصحيف وصوابهُ « تغنيهِ » بالغين المعجمة وبالنون مكان اليآء الاولى وهو بمعنى تكفيهِ

وفي مادة (ب ط ر ـ ص ١٣٥ س ١١) « حمَّلهُ على اكثر من طوقهِ » وضُبط بتشديد الميم من « حمَّلهُ » والصواب « حَمَلهُ على اكثر من طوقهِ » بتخفيف الميم او « حمَّلهُ اكثر من طوقهِ » بحذف « على »

وفي مادة (خ ط ر ـ آخر الصفحة) « يخطر بسيفهِ اي يهزهُ معجباً بنفسهِ » وضُبط « معجِباً » بكسر الجيم . ومثلهُ في آخر السطر « ويمشي مشية المعجِب » والصواب الفتح فيهما وقد تكرر ذكر مثل هذا من قبل

وفي مادة (ع ش ر ـ ص ٢٤٨ س ١٩) « وقيل اذا وضعت (الناقة) فهي عائد وجمعها عوذٌ » رُسِمت « عائد » و « عوذ » بالدال المهملة مع فتح العين من « عَوْد » وصوابهما بالذال المعجمة مع ضم العين في الثانية

وفي مادة (ي س ر ـ ص ١٦١ س ١٥ ـ ١٦) « رجلٌ أعسرُ يَسَرٌ يعمل بيديهِ جميعاً والانثى عسرآء يسرآء » والصواب « عَسْرآء يَسَرةٌ » لمكان قولهم في المذكر أعسرُ يسَرٌ . قال في مادة (ع س ر ـ ص ٢٤٠ س ٢١)

« ويقال للمرأة عسرآء يَسَرةٌ اذا كانت تعمل بيديها جميعاً ولا يقال أَعسر أَيسَر ولا عسرآء يسرآء للانثى » . اه

وفي مادة (ن ف ش ـ في اول المادة) « والنفش مَدكّ الصوفِ حتى ينتفش بعضهُ عن بعض » كذا بتشديد الكاف من « مدكّ » وجرّ « الصوف » بالرسم والصواب « مَدُّكَ الصوفَ » مصدر مـدَّ مضافاً الى كاف المخاطب (ستأتي البقية)

النُوَام

(او مرض النوم)

نشر الدكتور بُوردآ في احدى المجلات العلمية فصلاً تكلم فيهِ على هذا الدآء الغريب وأسبابهِ واعراضـهِ وما توصلوا اليهِ في علاجهِ فرأينا ان نستخلص زبدة هذا الفصل افادةً للقرآء قال

لا ريب ان اعظم الآفات التي تنتاب القبائل الزنجية المقيمة بالكنغو والسودان والاوغندا هي مرض النُوَام الذي اشتهر امرهُ منذ سنوات وهو مرضٌ يتسلط فيـهِ النوم على المصاب بهِ ويأخذهُ ضعفٌ عامٌ وتهافتٌ يزداد يوماً عن يوم وانحلالٌ في القوى تكون نهايتـهُ الموت . وهذا الدآء لا تُرجَى الافاقة منـهُ ولا يكون الانذار فيهِ على الاغلب الا سيئًا فانهُ لا يكاد يُشفَى من المصابـين بهِ ١ من ١٥٠ . وهو لا يصيب الا الزنوج ويتفاقم فيهم الى حدٍّ لا يبلغهُ شيءٌ من الاوبئة الجارفة بحيث ان بعض قبائل الكنغو اوشكت في بضع سنوات ان تنقرض عن آخرها فقـد ذكر

الدكتور برُومپ ان بلدةً انتشر فيها هذا الداء وكان أهلها ٣٠٠٠ نسمة فلم يبقَ منهم الا ٣٠٠

وقد كان رأي الباحثين منذ سنتين او ثلاث ان هذا المرض متسبب عن كثرة المستنقعات في البلاد وما يحدث فيها من الحرّ الشديد والامطار وعن سوء الغذاء او قلّتهِ وشرب الماء الآجن وما اشبه ذلك . لكن الذي ثبت اليوم على ما كشفت عنهُ مباحث لُوّ وكستلاّني سنة ١٩٠٣ انهُ مسبب عن وجود جراثيم عضوية في الدم من رتبة النُقاعيات المهدَّبة [1] . والعلماء آخذون في متابعة البحث للوصول الى مكافحة هذه الآفة المخيفة والمأمول انهم عن قليل سيتوصلون الى الذريعة التي بها يقاومون هذا الداء ويستوقفون انتشار هذه الجراثيم

ثم ان هذا المرض يأخذ الانسان بدون ان يشعر فان اعراضهُ الأُوَل لا تظهر الا بعد تمام مدّة الحُضانة وهي تختلف طولاً وقصراً والى ذلك الحين يكون الزنجي على تمام صحتهِ. فتبدأ فيهِ اعراض العلة بصداعٍ خفيف وألمٍ في الناحية العليا من الصدر ثم يشعر من نفسهِ بضعفٍ واسترخاء فيصير خطوهُ متثاقلاً ونطقهُ بطيئاً عسراً متقطعاً ويشعر بنعاسٍ غالب وطلبٍ للنوم في أي ساعةٍ كان من النهار وربما اغفى في اثناء المشي او العمل. ولا يلبث بعد ذلك ان تأخذهُ حمى تبلغ ٣٩° ويرتفع نبضهُ من ٩٠ الى ١٣٠ نبضة في الدقيقة وتغلب عليهِ الكآبة والوجوم ويطلب العزلة والانفراد عن الناس

(١) Infusoires ciliés

هذا هو الطور الاول من المرض واذا عولج فيهِ العليل علاجاً صادقاً فقد تصلح حالهُ بعض الشيء ولكن لا يلبث ان يعقبهُ الطور الثاني فيأخذهُ هزالٌ يتزايد تزايداً متواصلاً ونُوامٌ غالبٌ ووهن في العضل وشبه شللٍ في عامّة الجسم. واذ ذاك يشتدّ شعورهُ بالبرد ويصعب عليهِ الوقوف واذا مشى تخلّج في مشيتهِ وعلى الغالب يذهب فيضّجع على الرمل ويلبث نائماً النهار بطولهِ تحت الشمس واذا أُريد ايقاظهُ او تحريكهُ من ذلك الخمود رفع رأسهُ بعناء وقد ظهرت عليهِ علائم الكأبة والاستغراق في الذهول وهو جامد الطرف وفمهُ مفتوح يسيل منهُ لعابٌ لزج واذا استُنطِق نطق بأهجيةٍ مبهمة ثم عاد الى سباتهِ

وفي طور تناهي العلة تظهر الاعراض العصبية فيشعر العليل بخدر ويضعف شعورهُ ويحدث لهُ شالٌ موضعيّ ويتشنج عضل عنقهِ ثم يسرع نبضهُ ويصغر ويتقطع ويظهر ورمٌ في نواحي الكعبين او في الوجه. واخيراً يستحكم النُوام ويستمرّ في الايام الاخيرة ثم تُختَم هذه الحال بنومٍ عميق تتخللهُ تشنجات الموت. اما مدة المرض فتختلف من شهرين الى ثمانية وقد تستمرّ الى سنتين وسيرهُ على الغالب بطيءٌ يتوقف توقفاً قصيراً ثم يشتدّ

وقد تقدم ان سبب هذا المرض على ما حققهُ الدكتور كستلاّني في جهات بحيرة فكتوريا نيانزا من اواسط افريقيا ضربٌ من النقاعيات يرى بكثرةٍ في دم المصابين بهِ وينقل بواسطة صنف من الذباب مشهور في تلك النواحي يسمى بلغة الزنوج تسّاي تسّاي

وهذه النقاعيات من الرتبة المعروفة بالنقاعيات السوطية لان لكل

واحدٍ منها عذبةٌ دقيقة في احد طرفيهِ او في كلٍّ منهما تشبه عذَبة السوط. وهي فضلاً عن تسبيبها مرض النوم تسبب امراضاً كثيرة قتالة في الحيوان وتوجد في جنوبي افريقيا وفي الهند والبرازيل والجمهورية الفضية وغيرها. واول ما اكتُشفت سنة ١٨٤٣ اكتشفها جروبي في دم الضفدع وهي نقاعيات مجهرية مستطيلة مفلطحة الجسم شفافة تلتفّ على نفسها مراراً على شكل لولب طول الواحد منها ٤/١٠٠ من المليمتر الى ٨/١٠٠ وعرضهُ بين ٥ و١ من الف من المليمتر واحد جانبيهِ املس والآخر مسنن وكلٌّ من طرفيهِ شبيه بخيط كما ترى كل ذلك في الشكل. وحركتهُ اشبه بحركة اللولب وهو يتم اربع دورات في الثانية فيدور في الساعة نحو ١٥٠٠٠ دورة

(ش ١)

وقد وجدوا في جميع الجثث التي فتحوها من الذين ماتوا بمرض النوم ما لا يحصى من هذه النقاعيات على حين لم يجدوا شيئاً منها في جثث الذين ماتوا بغيرهِ. وامتحنوا الحقن بدم المصابين بهذا المرض فحقنوا بهِ عدة قِرَدة فلم يمضِ عليها الا ايام قلائل حتى ظهرت هذه النقاعيات في دمآئها ثم ان احد القردة التي أُجري فيها هذا الامتحان ظهرت فيهِ بعد اربعة اشهر جميع اعراض مرض النوم. على انهُ قد ثبت ان القردة تصاب بهذا الدآء اذا لسعها شيء من الذباب المذكور بعد ان يلسع احد المصابين بهِ وبخلاف ذلك سائر الحيوانات كالغنم والبقر والحمير وغيرها فقد ظهر انها لا تصاب بهِ

ومما يثبت ان هذا المرض يُنقل بواسطة الذباب المذكور انهُ لا يوجد

الا في الاماكن هي مألفٌ لهذا الذباب وهو هناك بمنزلة وبآء موضعي وكل مكان خلا منهُ لم يرَ فيهِ شيء من الداآء . وهو ذبابٌ كبير يبلغ طولهُ ١١ ميليمتراً ورأسهُ اسمر الى الصفرة ولهُ خرطومٌ طويل وصدرهُ اغبر اشقر وجناحاهُ الى الرُمدة وبطنهُ اصفر مركب من ستة مفاصل على ما ترى في رسمهِ وهو مكبر ثلاثة اضعاف

(ش ٢)

اما العلاج الشافي لهـذا المرض فلم يهتدوا اليهِ بعد غير انهم يحاولون ان يستوقفوا سيرهُ باعطاء مركبات الحديد والزرنيخ ونحوها ومنهم من يصف الكينا والقهوة وجوز الكولا والستونينا . ومما يستعملونهُ الكيّ بالنار على طول السلسلة الفقارية والمنفطات والدهن بصبغة اليود على القفا . وقد وجد لافران من عهد قريب ان المركبات الزرنيخية اذا أُخذت بجُرع كبيرة مرة بعد مرة يمكن ان يحصل عنها بعض النفع ولا سيما عند ظهور الاعراض الاولى اي قبل ان تتكاثر تلك الجراثيم في الدم وقبل ان يحدث عنها تأثير على العصب . ومن رأيهِ ان الجري على القوانين الصحية وتوفير المآكل المغذية افضل واقٍ لحدوث هذه العلة لانها اكثر ما تصيب فقرآء الزنوج المجهودين بالتعب القليلي الغذآء

في كتاب دفع الهمّ « قال افلاطون اذا قامت حجتك على الكريم اكرمك وشكرك ووقرك وان قامت على اللئيم عاداك وذمك وناصبك

سطح القمر

كان المتقدمون يذهبون الى ان القمر جرمٌ صقيل اشبه بالمرآة وان ما يُرى فيهِ من المحو اي السواد انما هو شبح ما في الارض من الجبال والبحار وغيرها . واقلّ ما في هذا القول انهُ لو صحّ لوجب ان تتغير الصور التي تنطبع فيهِ كلما انتقل عن جهةٍ من الارض الى غيرها مع انك اذا راقبت ذلك السواد في طول مسير القمر من لدن طلوعهِ من المشرق الى ان يغيب في المغرب لا تجد فيهِ تغييراً . وذهب آخرون الى ان القمر شفّاف بمنزلة الزجاج وان ما يُرَى فيهِ من السواد هو صورة ما في النصف المظلم منهُ وبطلان هذا القول لا يحتاج الى تنبيه . وقيل بل هو اجزآء لا تقبل النور كسائر اجزآئهِ القابلة لهُ وبعبارةٍ اخرى لا تعكس النور لانها تتشرَّبهُ وهو اقرب تلك الاقوال لان فيهِ شيئاً من الحقيقة بل هو الحقيقة كلها اذا نُظر الى القمر في اوان الاستقبال كما سيتضح لك مما سيجيء . على ان هذه الاقوال وما ماثلها مبنية على ان القمر جرمٌ املس منقاد السطح شبيه بالكرة المخروطة وهو ولا جرم ما يسبق الى الذهن قياساً على ما يُرَى من حدّهِ بحيث لا يظهر فيهِ أَمْتٌ ولا خلاف

ولكنك اذا نظرت الى القمر ولو بمنظارٍ ضعيف ظهر لك وجههُ كأشدّ جبال الارض وعورةً واكثرها قِمَماً وتضاريس ولون تربتهِ وصخرهِ على الجملة اصفر كَمِدٌ ولا سيما اذا نظرت اليهِ نهاراً فان انعكاس اشعة الشمس عن ذرّات الهوآء المحيط بالارض يضعف الاشعة المنعكسة منها عن القمر فلا يظهر لهُ من النور واللمعان ما يظهر في مدة الليل حين يكون الجوّ خالياً

من اشعة الشمس . على ان ذلك اللمعان في القمر ينقص كثيراً اذا نُظر اليهِ بآلةٍ مقرّبة لانفراج النقط العاكسة لاشعة الشمس فلا يُرَى أنورَ من بعض الجبال الصخرية في الارض اذا كانت مواجهةً للشمس بخلاف ما اذا نُظر اليهِ بالعين المجرّدة فانهُ لصغر جرمهِ اذ ذاك واجتماعهِ تتقارب تلك النقط وتجتمع الاشعة المنعكسة عنها فتراها العين أنورَ واشدّ سطوعاً . ومن هنا يُعلم أنَّا لو نظرنا الى الارض عن مثل بُعد القمر لرأيناها منيرةً مثلهُ ويدل على ذلك النور الاغبر الذي يُرَى على القمر في زمن الهلال منعكساً اليهِ عن الارض فانهُ ليس اضعف من نور القمر الواقع على الارض حتى يمكن ان ترى سائر سطحهِ المظلم وما عليهِ من التفاصيل

واوضح ما تكون رؤية القمر وما يتخلل سطحهُ من جبال وأودية وغيرها عندما تكون اشعة الشمس واقعةً عليهِ منحرفة وذلك في اوان احد التربيعين وما اليهما فان تلك الجبال تُلقي ظلاًّ اسود على ما وراءها من الارض الى الجهة المخالفة للشمس فيتميز كل جبلٍ وحيْدٍ ونتوء وتُرَى الاخاديد والاودية والصحارى واضحةً تمام الوضوح ولا سيما في جوار الكِفاف اي الحدّ الفاصل بين النور والظلام. فانك ترى ذلك الحدّ كثير التضاريس يتخلل جوانبهُ من الجهة النيّرة بُقَعٌ سوداء هي ما بين قمم الجبال من ظلال السفوح والاودية ومن الجهة المظلمة بُقعٌ ونقطٌ منيرة هي قمم الجبال التي لم تنل الشمس الا اعاليها وباقيها في الظلّ فيكون هنالك منظرٌ من ابهى المناظر واحراها بالتأمل . ثم انهُ كلما امتدّ ضوء الشمس على سطح القمر قصرت الظلال المجاورة للقمم وانتقل المنظر الى ما وراءها الى ان

يتكامل القمر بدراً فتزول تلك المناظر جملةً اذ يصير كل المواجه لنا من سطحهِ نيّراً وتخفى الظلال وراء القمم البادية فلا يُرَى منها شيء . وحينئذٍ لا يبقى في صفحة القمر ما يخالف لون سائرهِ الا بعض البقاع القاتمة من طبيعتها وهي المحو الذي يُرَى من هنا متفرقاً على وجه القمر يخيّلهُ للناظر على هيئة وجه انسان

ثم ان جبال القمر من اغرب الاشياء منظراً ومن اغرب ما فيها انك تراها كلها متشابهة فانها باسرها مستديرة الشكل جوفاء حتى يُرَى اعلاها كأنهُ سورٌ مبني وباطنها على الغالب اعمق من مستوى سطح القمر . وما اتسع منها يُرَى قعرهُ سطحاً مستوياً يشخص من وسطهِ نتوء هرميّ الشكل خشن الجوانب ينتهي بقمةٍ مستديرة ومنها ما ينتأ من وسطهِ عدة قممٍ فهي على الجملة اشبه بفوّهات البراكين الارضية . وربما شوهد حول بعضها خطوطٌ بيضاء مستقيمة تتشعب الى كل جانب ممتدَّةً الى مسافاتٍ بعيدة في سطح القمر فتكون اشبه بشعاعٍ مركزهُ تلك الفوّهة

وجبال القمر عظيمة الارتفاع حتى ان منها ما يقارب ارتفاع اعلى جبال الارض فقد قاس بير ومدلر من علماء برلين ١٠٩٥ جبلاً من جبال القمر وذلك بقياس الظل الواقع على جوانبها مع اعتبار ميل اشعة الشمس فكان منها ما بلغ ارتفاعهُ ٨٨٣٠ متراً وهو الجبل المسمى بجبل كورتيوس مع ان اعلى جبال حملايا لا يزيد ارتفاعهُ على ٨٨٩٠ متراً . ومنها ما بلغ ارتفاعهُ ٦٩٠٠ متر وهو جبل نيوتن وما بلغ ٦٤٧٠ متراً وهو جبل كاساتوس وهلمَّ جرًّا فتكون تلك الجبال بالقياس الى جرم القمر اعلى كثيراً من جبال الارض .

واما مساحة فوَّهاتها فهي ذات مسافات هائلة فان منها ما بلغ قياس قطره
٨٧٥٠٠ متر ومنها ما بلغ ٩١٢٠٠ متر حال كون اعظم فوهة في براكين
الارض وهي التي في جزيرة سيلان لا يتعدى قطرها ٧٠٠٠٠ متر

وجملة الامر ان من تأمل منظر القمر تبين لهُ انهُ لم يمرّ في نفس
الاطوار التي مرّت فيها الأرض فان الارض كان العامل فيها المآء والهوآء
ولا تزال آثارهما ولا سيما آثار المآء ظاهرةً في كل مكان من سطحها
وبخلاف ذلك سطح القمر فان الحرارة تصرّفت فيهِ وحدها فلا يُرَى على
سطحهِ الا آثار براكين هاجت فرفعت من سطحهِ في اماكن وغطته
بمقذوفاتٍ من جوفهِ في غيرها وكل ذلك بقي على الهيئة التي كانت بفعل
النار فلا تكاد ترى فيهِ ما يشبه المناظر الارضية من هذا القبيل الا بعض
السهول المنبسطة على جوانب بعض البراكين وهي مكسوّةٌ بالمواد المصهورة
تتخللها بعض الفوّهات بارزةً فوق سطحها او غائرةً الى اعماق شاسعة .
ولون هذه السهول اغبر في الغالب تشوبهُ زُرقةٌ او دُكنة ولذلك توهمها
الراصدون الاولون بحاراً واطلقوا عليها اسماء بعض بحار الارض كالبحر
المتوسط والادرياتيك وغيرهما واطلقوا على ما سواها اسماء بعض بقاع
الارض وجبالها وجُزُرها كفلسطين وجبل سيناء وصِقلّية وغير ذلك .
واول من سماها بذلك هڤليوس احد علماء الالمان في الخريطة التي رسمها
للقمر وهي اول خريطةٍ رُسمت لهُ سنة ١٦٤٧ . ثم تلاهُ الاب رِتشيولي[1]

(١) هو راهبٌ جزويتي انتحل علم الهيئة واشتغل بايعاز رؤسآئهِ بتأليف كتابٍ
يدحض بهِ مذهب كوپرنيك القائل بان الشمس هي مركز العوالم التابعة لها ويؤيد

في نحو ذلك التاريخ فرسم تفاصيل القمر وغيَّر اسمآء البقاع والبحار فسماها على وفاق ما كان المنجمون يذهبون اليـهِ من تأثير القمر في سكان الارض كبحر النوم وبحر الاحلام وبحر العواصف وبحر السكينة وكأرض الصحة وارض الهجير وارض الجـدب وارض الخصب . وسمى الجبال باسماء بعض العلماء كجبل تيخو وجبل كوپرنيك وجبل كپلر وربما سمى باسماء بعض القديسين كالقديسة كاترينا والقديس كيرلُس والقديس تيوفيلس وغير هؤلاء. وكتب في رأس هذه الخريطـة ما تعريبهُ « لا ناس في القمر ولا تهاجر الارواح الى هناك » (بخٍ بخٍ) وكأن هذا احتياطٌ منهُ لنفي القول بتعدد العوالم . . . ،

واكثر هذه الاسمآء باقٍ الى اليوم ما خـلا اسماء الاراضي فانهم اهملوها بتاتاً واما الجبال فما خلا اسمآءً قليلة أُخذت من اسماء جبال الارض كالألب والابانين استمرّوا على تسميتها باسماء العلماء ولا سيما من الفلكيين. ومع ان القمر لا بحار فيهِ كما هو متحقق اليوم فانهم تركوا الصحارى التي سميت بحاراً كما سميت لاشتهارها بين اصحاب هذا العلم

على ان من العلمآء وفيهم الاب سكي (اليسوعي) من يذهب الى ان اللون الاغبر في سهول القمر او ما يسمى بالبحار هو لون غابات من الشجر ويستدلون على ذلك بكون تلك البقاع تمتصّ اشعة النور فلا تؤثر في الصفائح الفوتغرافيـة ولذلك تُرَى هذه الاماكن في الصور الشمسية اشد

مذهب بطليموس الذي يجعل الارض مركز العالم الشمسي ويجعل الشمس من توابع الارض ولذلك سمى كتابهُ « المجسطى الجديدة »

سواداً مما تُرَى بالنظر المجرّد او بالآلات البصرية وهـذا من الخصائص المعروفة في النبات

اما الجبال فلا تظهر قممها وحيودها الا بيضآء بيد ان منها ما يظهر انوَر من غيرهِ حتى ان بعضها يُرَى بلون الثلج . وقد وُجد من السهول ما يختلف لونهُ بين وقتٍ وآخر فبينا يُرَى عند اول شروق الشمس عليهِ بلون الثلج اذ يرى بعد ايام حين توشك الشمس ان تغيب عنهُ بلون الصخر الطبيعي . وهذا ولا ريب من الاسرار التي يصعب كشفها غير ان آخر ما ذهب اليهِ المحققون منهم ان هناك ثلجاً حقيقياً ينعقد في مدة ليل القمر الطويل الذي هو نحو نصف شهر فاذا اشرقت الشمس عليهِ ظهر بلونهِ الناصع ثم بعد ان تستمرّ فوقهُ مثل ذلك الزمن وهو مدة نهار القمر انحلّ وانكشف الصخر من تحتهِ . وهذا الثلج انما ينعقد من الهوآء الجوّي المحيط بالقمر اذ قد ثبت لهم وجود جوّ هناك في غاية النزارة فاذا انحلّ ذلك الهوآء من جمودهِ لم يجرِ سيولاً ولا انهاراً ولكن ينتشر في الجوّ على عهدهِ ولذلك كان الهوآء على القمر يظهر احياناً ويخفى تبعاً للساعة من اليوم والله اعلم

ديوان ابن مامية الرومي

﴿ بقلم حضرة الاستاذ الفاضل رزق الله افندي عبود ﴾

(٢)

كتب الاب لويس شيخو في مجلة المشرق (٧ : ٢٩١) ما يأتي « (ابن مامية الرومي) كتب احد الحمصيين فصلاً في بعض المجلات

المصرية عن هذا الشاعر وعن ديوانهِ فروى عنا كلاماً لا صحة لهُ وزعم اننا قلنا لهُ عن ابن مامية « انهُ اسم لغير مسمى وان ديوانهُ ليس لهُ ذكر في احد فهارس المكاتب الاوربية » ولبيان فساد قولهِ دونك ما نعلمهُ عن هذا الشاعر . هو محمد بن احمد بن عبدالله الرومي المعروف بمامية . وروى الحج خليفة اسمهُ « ماماي » وروى غيرهُ « ماميَهْ » ولد في الاستانة وقدم صغيراً الى دمشق وتجنَّد في فرقة الينكشرية وحجَّ معها سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٣ م) ثم جعل من العدول في محكمة الصالحيَّة وانقطع للآداب واشتهر بالشعر وجمع ديوانهُ سنة ٩٧١ هـ (١٥٦٣ م) ودعاهُ روضة المشتاق وبهجة العشاق ومن هذا الديوان نسختان الواحدة في المتحف البريطاني كتبت على عهد المؤلف سنة ٩٨٥ في شعبان (١٥٧٧م) والاخرى في اكسفرد ولهُ قصائد حسنة في السلاطين العظام سليمان وسليم الثاني ومراد الثاني وكبار دولتهم وقد اشتهر بالتواريخ الشعرية والمعمَّيات توفي سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) وفي كتب الادب من شعرهِ مقاطيع متفرقة منها قطعتان في حديقة الافراح لليمني (ص ١١٠ من طبعة مصر) اهـ »

(قلت) انني اشكر حضرة الاب الفاضل على ما اتعب نفسهُ في استقصائهِ واطرفنا بهِ من الفوائد عن هذا الشاعر وعن ديوانهِ مما ابطل بهِ قولهُ الاول انهُ لا يعرف شيئاً عن ابن مامية ولكنني انما آخذ عليهِ انكارهُ الكلام الذي قالهُ لي ورويتهُ عنهُ كما سمعتهُ منهُ . ولعل النسيان هو الذي دعاهُ الى هذا الانكار ولذلك فها انا اذكر لهُ كل المواضيع التي كلمتهُ فيها في باب ديرهم لما كان خارجاً منهُ هو وحضرة الخوري التقي

اوژن دلأّل السرياني الكاثوليكي والشاب توفيق افندي كرامة احد تلاميذهم وذلك بعد رجوعهِ من حماة ضحى يوم الخميس في ٢٥ ايلول[1] غربي سنة ١٩٠٢ علَّهُ يتذكر ويعلم اني لم أروِ عنهُ غير الصحيح ولم أُثبت الا الكلام الذي نطق بهِ فمهُ وقد تنفع الذكرى

سألتهُ اولاً عن صحة ترجمة بعض قطع منقولة عن آباء الكنيسة القدماء ومثبتة في فصل الاستحالة الجوهرية من كتاب ريحانة النفوس في اصل الاعتقادات والطقوس تأليف وطبع البروتستان (ص ٨٥ - ٨٩) فوعدني ان يترجمها ترجمة صحيحة اذا كتبتها وارسلتها الى ادارة المشرق . ثم سألتهُ عن اخبار بعض القديسين والعلماء الذين ذكرهم في ردّهِ على النشرة الاسبوعية ونسبهم الى حمص وهم القديسون ديودورس وابراهيم الناسك ومترونة والعالمان هيليودور وأُلبيان فوعدني ان ينشر فذلكة في تراجمهم ان كتبت اليهِ عنهم . ثم تقاضيتهُ الجواب عن ابن مامية (وكنت قد سألتهُ عنهُ خطاًّ) فاجابني بما نقلتهُ عنهُ في المقالة السابقة . وكذلك قدمت اليهِ بعض ملاحظات على ما كُتب عن ايقونسطاس كنيسة حمص في مقالة عنوانها «صناعة النجارة في المشرق» من قلم الاديب يوسف افندي غنام ثابت نُشرت في مجلة المشرق الزاهرة فطلب مني ان اكتب هذه الملاحظات وارسلها اليهِ في بيروت وللجنة تحرير المجلة الرأي في نشرها او عدمهِ[2] . ثم عرضت لي على اثر ذلك مشاغل اضطرتني الى ترك التحرير مدة وسببت

(١) وليس ٢٥ تشرين الاول كما ورد ذلك سهواً في المشرق (٥ : ٩٥٦)
(٢) سأنشر هذه الملاحظات في عدد قادم ان شاء الله

تأخري عن الكتابة اليهِ مما ارجوهُ عليهِ عذراً وان أحبَّ الآن ان يتكرم بإجابتي عن سؤاليَّ الاولَين فلهُ الفضل . ولعل ما ذكرتهُ في هذا المقام كافٍ لتذكيرهِ ان كان ما كتبهُ ناتجاً عن النسيان

(٣)

واما صاحب العزة احمد بك تيمور فقد نشر استدراكهُ في العدد الحادي عشر من الضيآء . ونظراً لما قرأتهُ في خلال سطورهِ من آثار لطفهِ وكرمهِ ومحبتهِ التدقيق اقدم عليهِ الملاحظات الآتية

(١) قال نقلاً عن ديوان ابن مامية انهُ ولد سنة ٩٣٠ ھ وهو قول فيهِ نظر فانني ذكرت في مقالتي الاولى (الضيآء ٩ ص ٢٧٠) ان اول تاريخ عثرت عليهِ للشاعر المذكور نظمهُ في تلك السنة (٩٣٠) فكيف يمكن ان ينظم تاريخاً في السنة التي ولد فيها ؛ وذلك التاريخ هو قولهُ مؤرخاً ولادة نجم الدين بن معروف [1]

مولد نجم الدين شمس الهدى　　أنار منهُ الكون لما بدا
والدهر قال عندما قد اتى　　تأريخهُ نجمي أضا وهدى

(٢) وقال ايضاً انهُ قرأ الادب على العلاَّمة الشيخ ابن الفتح المالكي والصواب «ابي الفتح المالكي» كما اثبت ذلك الخفاجي واوضحتهُ في اول هذه المقالة

(١) هو الامير نجم الدين ابن القاضي معروف الشامي كان احد ادبآء دمشق في القرن العاشر للهجرة ولهُ نظم رقيق . (راجع ترجمتهُ في ريحانة الالبا للخفاجي ص ١٠٠)

(٣ً) أخذ عليَّ الاستدلال بالشعر على صفات قائلهِ واخلاقهِ وقال ان ذلك لا يؤدي الى المقصود في الغالب . فاجيبهُ انني لم اعمد الى استنتاج اخلاق ابن مامية من شعرهِ الذي يصف بهِ نفسهُ الا لما لم اجد مورداً استقي منـهُ اخبارهُ غير آثارهِ الفكرية كما اشرت الى ذلك في محلهِ . ومع ذلك فالذي اراهُ هو ان اشعار الشاعر التي يقولها في وصف ذاتهِ ويخبر بها عن نفسهِ كثيراً ما يمكن الاستدلال بها على صفاتهِ واخلاقهِ وخصوصاً في مثل هذه الحال اي عند عدم وجود وسيلة اخرى لمعرفة مناقبـهِ لانهُ اذا كان يصح الاستدلال على اخلاق الشخص بخطـهِ او بازيائهِ[١] وهي من آثارهِ الخارجية التي لا علاقـة لها بالقلب أفلا تدلّ اشعارهُ التي هي لغـة عواطفهِ وترجمان قلبهِ ووجداناتهِ على اخلاقهِ وصفاتهِ . وقد قيل في الحكم المأثورة «الـكلام صفـة المتكلم» والى مثل ذلك اشار الشاعر الشهير ابراهيم افندي الحوراني الحمصي بقولهِ

الشعر كالمرآة يُر سمُ فيهِ عقل الناظمِ

نعم انني لا انكر خروج بعض الشعراء عن حكم هذه القاعدة ولكن من المعلوم ان إخلال البعض بالقانون لا يدعو الى نبذهِ

هذا ما رأيت اثباتهُ الآن مع اعترافي بفضل حضرة الاب المفضال وصاحب العزة احمـد بك تيمور وشكري لهما خدمهما للعلم والادب راجياً منهما ان يعتقدا بي الاخلاص لهما والسلام

---

(١) راجع مجلة الهلال السنة السادسة صفحة ٤٨٩ و ٧٢٨

فلسفة الغرام

من نظم حضرة الشاعر العصري نقولا افندي رزق الله

هنَّ غادرنني جريحاً سليبا ... حين حاربنَ بالعيون القلوبا
وتخذنَ القلوب أسرى فما يخفق ... م قلبٌ إلاَّ سميعاً مجيبا
ثم أهلكنَ من أردنَ وأبقين ... م فؤادي يسمْنَهُ تعذيبا
ذاك اني حُجبتُ عنهنَّ دهراً ... كان فيهِ عني الهوى محجوبا
كنت صباً لكن بغير حبيبٍ ... بل كتابي قد كان عندي حبيبا
ونديماً وصاحباً ومشيراً ... مخلصاً صادقاً مجيداً مصيبا
فاذا شئتَ عُدَّ ذلك عشقاً ... واحسب العاشقين ايضاً ضروبا
كنتُ يوماً على كتابٍ مكباً ... شغلتني فصولهُ تنقيبا
رسمَ الدرسُ والتفكرُ فيها ... فوق وجهي تجهُّماً وقطوبا
يوم فاجأنني وهنَّ ثلاثٌ ... يتجلّى جمالهُنَّ عجيبا
لو يهاجمنَ جحفلاً ساعة الحر ... بِ لألقى سلاحهُ مغلوبا
يتلاعبنَ بالعقول فلا يتركنَ ... إلا مشرَّداً مسلوبا
قلنَ قم يا غبيُّ واهجرْ مكاناً ... لا يزالُ المقيمُ فيهِ كئيبا
ودعِ العلم للشيوخ فلا كا ... ن شبابٌ غدا يحاكي مشيبا
ان للعمر لذةً ثم تمضي ... فاغتنمها لانها لن تأوبا
فتأملتهنَّ لم اتمالك ... من فؤادي صبابةً ووجيبا
ثم وافقتهنَّ أمشي مطيعاً ... أمنعُ النفسَ من هوًى أن تذوبا
في رياضٍ زهت لانَّ عليها ... من ثياب الربيع ثوباً قشيبا

تترامى أقدامهنَّ خفافـاً دائسات من نار قلبي لهيبا
يتأوَّدنَ كالغصون اعتدالاً وجنًى او يفُحْنَ كالزهر طيبا
أجنونٌ اصابني فحسبتُ ال خدَّ ورداً والقدَّ غصناً رطيبا
لا تلمني ان كان ذلك ذنباً منعَ الصبَّ حبهُ ان يتوبا
او فلمني فانني أعشق اللو مَ كعشقي لهنَّ والتأنيبا
حفظ الله يانعاً ذلك الرو ضَ فقد كان ناهباً منهوبا
وسقى الغيث منبت النرجس الغضّ م فقد كان حارساً لا رقيبا
ذاك يومٌ مضى ويا حبذا لو كان عمري بمثلـهِ محسوبا
ثم ودعنَني فلم اتكلم بسوى الدمع ساجماً مسكوبا
ومن الصمت ما يكون بياناً حينما يعجز البيانُ الخطيبا
قلنَ فاذكرْ دهراً تقلبتَ فيـهِ ساخراً بالهوى خليًّا طروبا
إنَّ مَن كان خالياً من هوانا ذنبـهُ عندنا يفوق الذنوبا
خسر الحبَّ والحياة جميعاً فاستحقّ العقاب والتعذيبا
فاتَّقِ الله والجمال وإلاَّ نلتَ من ذلك العقاب نصيبا
وانظم الشعر لا تدع منهُ ما كا ن نسيباً فينا ولا تشبيبا
من رعايا جمالنا صرتَ فاشكر سلطةً صيرَتكَ منا قريبا
وصِفِ القدرة التي استودعتنا من خفايا الوجود سرًّا عجيبا
قد سقيناكَ من هواكَ كؤوساً دونها كلُّ خمرةٍ مشروبا
ووهبنا لك الحياة لتهوى ومحوْنا من ذنبك المكتوبا

آثار ادبية

كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني - هذا الكتاب من تأليف الامام العالم العلامة الشيخ عبد القاهر الجرجاني نسيجهُ على منوال صنوهِ في علم البيان الذي سماهُ باسرار البلاغة وقد تقدم لنا الكلام عليهِ في مجلد السنة الرابعة (ص ٥٦٧) ولسنا بزائدين في تقريظ هذا الكتاب ووصفهِ على ما ذكرناهُ في تقريظ صنوهِ المشار اليهِ فان كليهما من رشح اقلام ذلك الحبر النحرير بل من فيض عُباب ذلك البحر الكبير

وقد طُبع هذا الكتاب بعد تصحيح روايتهِ بقلم علامتي المعقول والمنقول الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية والشيخ محمد محمود التُركُزي الشنقيطي اللغوي المشهور ووقف على تصحيح طبعهِ وعلق حواشيهُ السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الاسلامي بمصر. فنحث الراغبين في هذا الفن على مقتناهُ وهو حسن الطبع والورق يقع فيما يزيد على ٤٠٠ صفحة وثمنهُ عشرون غرشاً مصرياً

مراقي الحساب - هي سلسلة كتب حسابية تأليف حضرة الاستاذ البارع الياس افندي بهنا من مدرّسي الرياضيات في المدرسة البطريركية في بيروت. وهي اربع مراقٍ الاولى في حساب الاعداد والثانية في حساب الكسور والثالثة في العدد المركب والرابعة في الحساب التجاري وقد تصفحنا الجانب الكبير من هذه الكتب فوجدناها حاويةً لكثير من

التسهيلات والفوائد النادرة والاساليب المختصرة ولا سيما في الجزء الرابع منها وقد استوفى فيهِ كل ما يتعلق بالحسابات التجارية من تحويل النقود والاوزان والاقيسة وتفصيل ما يتعلق بالفوائد والاعمال الصيرفية والتوزيع في الشركات والمواريث الى ما يتصل بهذه الابواب مع ذكر كثير من الروابط والاختصارات التي تقرّب المسافة على الحاسب . فنثني على حضرة المؤلف ثناءً جميلاً ونرجو لمؤلفاتهِ هذه مزيد الرواج والاقبال

جامع الادلة على مواد المجلة — هو عنوان كتاب تحت الطبع تأليف حضرة الاصولي الفاضل نجيب بك هواويني المحامي القانوني الشهير استاذ اللغة والخطوط العثمانية في الكلية الشرقية بمدينة زحلة . اودعهُ نصوص مجلة الاحكام العدلية وقرن كل مادة بالدلالة على المواد التي تتكفل بايضاح المقصود منها مع المواد التي تتضمن الامثلة والشواهد على تلك المادة . ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة العميمة والتسهيل على المشتغلين بمواد الشريعة والقانون من النواب والمفتين والفقهاء والحكام والمحامين والكتاب وغيرهم من كل من يتولى الاحكام ويعاني دراسة الحقوق

وقد عرَض الكتاب للاشتراك بجعل قيمتهُ للمشتركين ريالاً مجيدياً يدفع مقدماً وبعد نهاية الطبع يتعين ثمنهُ ريالاً ونصفاً وأجل قبول الاشتراك يمتدّ الى آخر السنة الحالية . فنحث طلاب هذا الفن على الاشتراك في هذه الذخيرة الثمينة ونثني على حضرة المؤلف لما توخاهُ في هذا التأليف من خدمة العلم والوطن

فكاهات

بعد مئة سنة (١)

كان في سنة ١٧٩٨ في مدينة ليون من اعمال فرنسا فتى من اسرة غير دنيئة يدعى لويس • وكان مع غضاضة شبابهِ غير جميل الصورة نحيل الجسم عصبي المزاج وكأن الله قد اعاضهُ عن جمال خلقهِ بجمال اخلاقهِ فكان ذا نفسٍ ابية وعريكة لينة رقيق القلب شديد الاحساس خدوماً محباً وقف نفسهُ على مصالح الناس قبل مصلحة نفسهِ • وكان لويس في صناعتهِ صائغاً يعمل بما يقوم بأودهِ ولما كان وحيداً لم يكن يحتاج الى العمل الكثير فبعد ان يعمل في يومهِ ما يكفي لسداد نفقاتهِ يقفل حانوتهُ وينصرف فيما بقي من نهارهِ لخدمة اصدقائهِ ومساعدة من يحتاج الى مساعدتهِ في امرٍ من الامور

وخطر للويس يوماً ان يجيل افكارهُ في امر الزواج وقد سئم من حياة الوحدة فاحب ان يكون لهُ بيت صغير وزوجة امينة محبة واولاد صغار يربيهم ويعتني بهم • وما زالت هذه الاماني تتوارد على مخيلتهِ حتى صمم على الامر وجعل يبحث عن فتاة توافق ذوقهُ ليشركها في حياتهِ ويعيشا معاً • وكانت تتردد على حانوتهِ سيدة وابنتها تبتاعان منهُ بعض الحلى وتكلفانهِ اصلاح مصوغاتهما او تغيير ما بطل استعمالهُ • فرأى لويس في الابنة جاذباً واعجبهُ جمالها وادبها فاحبها حباً مفرطاً • ولما لم يرَ منها ولا من والدتها ما يقوّي املهُ على مفاتحتهما حديث حبهِ خشي انهُ اذا فعل ربما نفرتا منهُ وحرم مشاهدتهما وانقطع ارتزاقهُ منهما • غير انهُ كان اذا اتتا حانوتهُ يبالغ في ملاطفتهما ويخدمهما بغاية الدقة وهما تحملان ذلك على مجاملة التاجر للذين يعاملونهُ • ولما اشتدَّ هيام لويس بالفتاة انقطع عن اصدقائهِ

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ومعارفهِ ولزم دكانهُ فكان يقضي فيهِ كل نهارهِ و بعضاً من ليلهِ • واذا لم يبقَ بين يديهِ ما يصنعهُ شاغل نفسهُ بصياغة حليةٍ لعلهُ يتوفق يوماً ان يهديها الى مالكة فؤادهِ • غير انهُ كان اذا جاءَتهُ يغلب عليهِ الوجوم والخجل ثم متى خرجت يأخذ تلك الحلية فيكسرها قائلاً قد صنعت هذه على اسم لويزا حبيبتي فلن يتحلى بها احد غيرها • و بعد قليل يضجر من قلة العمل فيعود الى عمل قطعة اخرى وينالها مثل نصيب الاولى الى ان صنع يوماً سلسلة ذهبية مزدوجة علق بها قلباً من الذهب الخالص ورصعهُ بالحجارة الثمينة وجعلهُ مؤلفاً من قلبين منفصلين يضمان فيصيران واحداً • واعجبتهُ هذه الحلية فمنعهُ استحسانهُ لها من كسرها ودفعهُ الحب الى تقديمها لحبيبتهِ اول مرة تزورهُ • ولما جاءَت فاتنتهُ ووالدتها بعد ذلك انتظر ان انهتا شغلهما معهُ وعزمتا على الانصراف فقال مخاطباً الام هل تسمحين لي يا سيدتي ان اتجاسر واقدم هذه الهدية الحقيرة الى هذا الملك الطاهر • وللحال صبغ وجههُ الاحمرار وتلعثم لسانهُ فلم يستطع ان يزيد على ذلك ثم اخرج من خزانةٍ بجانبهِ تلك السلسلة ودفعها الى الفتاة بيدٍ مرتجفة • فقالت الام ما كنت لامانع من قبول هديتك لولا انها اثمن مما يجب ان تكون الهدية فان ثمن هذه السلسلة يفوق كل ما تقدناك اياهُ اجرةً لعملك مذ عرفناك • فقال كلاَّ يا سيدتي فان هذه الهدية الحقيرة لا ثمن لها الاَّ اذا كانت في عنق ابنتكِ فهي اذ ذاك لا يعادلها ثمن اما انا فقد صنعتها في اوقات الفراغ فلم أُضع لاجلها شيئاً من وقتي ولا عطلت لاجلها عملاً وكنت منذ صنعت اول حلقة منها قد صممت على تقديمها الى هذه السيدة فارجو ان لا ترفضي طلبي • وحاولت الوالدة ان تقنعهُ بقبول شيء من ثمن السلسلة فلم يقبل ورأت من الحاحهِ وترقرق دموع الخجل من مآقيهِ ما جعلها تخجل من مراجعتهِ فقبلتها شاكرة وامرت ابنتها ان تلبس السلسلة وتشكرهُ على هديتهِ • ففعلت الابنة وهي مسرورة بتلك الحلية الجميلة ورددت لهُ بعض عبارات الشكر فاجابها عليها بتمتمةٍ لم يسمعها احد حتى ولا هو نفسهُ

ولما خرجتا من الدكان جعلت الوالدة تفكر في السبب الذي دفع الصائغ الى

تقديم هذه الهدية الثمينة وبان لها نورٌ خفيف من جانب الحقيقة ثم جعلت تشاور نفسها فيهِ فرأتهُ فتى اديباً نشيطاً ومن محتدٍ كريم فلم ترَ ما يمنع ان تزف اليهِ ابنتها وتحققت انهُ يكون لها خيراً من سواه . وبعد يومين عادت الى الحانوت واجهدت نفسها في استطلاع دواخل لويس فتحقق لها ظنها ففاتحتهُ الحديث وما صدق ان سمع ذلك حتى اعترف لها بمحبتهِ للويزا وشرح لها هيامهُ وغرامهُ . فوعدتهُ خيراً على ان تسأل ابنتها ودعتهُ لتناول طعام المسآء عندها في ذلك اليوم . وما صدق لويس ان جآء الميعاد حتى سار يدفعهُ الشوق ويقودهُ الحب الى ان بلغ البيت فاستقبلتهُ الوالدة بوجهٍ باش حقق للويس امانيهُ فقضى سويعاتٍ لا اتمّ من سرورها على قلبهِ. وانتهى الامر بان خطب لويس لويزا وجعل يهتم بمساعدتها ومساعدة والدتها على اعداد الرياش اللازم لمنزلهِ والاستعداد للمعيشة البيتية وفي نهاية ثلاثة اشهر عقد لهُ عليها فكانت حياتهما معاً حياة سعادة وهنآء ولم يبقَ للويس من مشتهى سوى ان يحصل على البنين فتتم امنيتهُ وسعادتهُ

ولكن الزمان ليس فيهِ امان فان صفوهُ الى كدر وسعادتهُ الى شقآء وكل امنية فيهِ انما هي برقٌ خلب . فما مضت على زواج لويس السنة الاولى ونصف الثانية حتى افل نجم سعادتهِ وتعكر جوّ سرورهِ وذلك انهُ كان للويزا نسيبٌ شابٌّ غني يزورها حيناً بعد حين فانتهى تردده بان مال اليها ومالت اليهِ ثم هام بها فهامت بهِ وقد نسي كلاهما انهما انما يطآن تحت اقدامهما حقة الزواج ويسرقان من لويس حقهُ المقدس . ولما كان الحب اعمى فقد اطبقت لويزا اجفانها عن النظر الى زوجها وأصمت أذنيها عن سماع صوت ضميرها فلم يعد يهمها من العالم سوى قرب الحبيب الجديد وقد اهملت كل شيء في الوجود ما خلاه

ولم يكن لويس غافلاً عن انقلاب زوجتهِ بل عرف حقيقة امرها و « دلائل الحب لا تخفى على احدٍ » فاجهد نفسهُ في تحويل افكارها عن تلك الهوّة التي عزمت على القآء نفسها فيها وبذل وسعهُ في ارجاعها الى محبتها الاولى ولكن هيهات

واذا تألفت القلوب على الهوى فالناس تضرب في حديدٍ باردِ

ولما اعياهُ الامر لم يطق البقآء على تلك الحالة ففكر في الانتحار ولكنهُ ابعد هذا الفكر عنهُ للحال لاعتقادهِ ان الانتحار ملجأ الضعيف العزم فقرَّ قرارهُ اخيراً على ترك الديار والهرب الى ناحيــة تنسيهِ معالم سعادتهِ الدارسة • ولما كانت لويزا حاملاً اخرهُ ذلك عن تنفيذ رغبتهِ وقد اشفق على الطفل ان يؤخذ بجريرة الام فصبر على احرّ من الجمر الى ان وضعت لويزا ابنة كانت مثال الجمال • فسكن ذلك شيئاً من جأشهِ غير انهُ كان يرى من زوجتهِ كراهةً شديدة للطفلة وعدم اعتنآء بها فزاد ذلك في يأسهِ وغمهِ • وفي ذات يوم نهضت لويزا من رقادها وقامت مكرهةً الى سرير ابنتها فرأتهُ خالياً وهو مرتب كأن لم يكن فيهِ احد وعلى وجههِ رسالة معنونة باسمها ففتحتها فاذا فيها ما يأتي

حبيبتي لويزا

تصل هذه الرقعة الى يدكِ حين اكون على بعد عدة اميالـ من البلدة التي شهدت فيها سعادتي وشقآئي والتي لا اروم ان اذكرها من بعد • وقد اخذت معي منها جميع ما يخصني ابنتي والسلسلة التي كانت عربون ارتباط قلبين نقيين وتركت لكِ جميع ما ملكتهُ يداي يكون تحت مطلق تصرفكِ • فانتِ مطلقة القياد بعد تركي أياكِ كأنكِ لم ترتبطي بي قط فانني

تركت حبيب القلب لا عن ملالةٍ ولكن جنى ذنباً يؤول الى التركِ
اراد شريكاً في المحبــة بيننا وايمانـ قلبي لا يميل الى الشركِ

ولو كانـ امركِ مقصوراً على الاشراك في محبتي فقط لسهل عليَّ تلافي ذلك ولكنكِ قد اعتضتِ عن محبة الزوج الامين عشق رجل اجنبي غادر فاعلمي بانهُ لا يمضي عليكما وقتٌ طويلٌ حتى يلفظكِ لفظ النواة فتندبين ما فات وتندمين ولات ساعة مندم • اما انا فاما ان اجد من نفس مصابي ما ينسيني العلة التي استحكمت فيَّ او ان يوافيني الموت وفيهِ اتم راحة تخلصني من دهر ملائكتهُ ابالسة وامناؤهُ خونة

« لويس »

ولما اتمت لويزا تلاوة هذه الرسالة قلبت شفتيها بازدرآء ثم هزت منكبيها

وعادت الى غرفتها بدون ان يبدو عليها ادنى تأثر

وتسبب عن اختفآء لويس والطفلة بعض اللغط في الجيرة وبين اهل المنزل واخذ كلٌّ يتقوَّل بما شآء واتت على ذلك الايام فنسوا السبب والمسبب والانسان مفطور على النسيان • وخلا الجوّ للويزا وعشيتها مدةً الى ان هام بفتاة رغب اهلهُ في تزويجهِ منها فانقطع عن لويزا انقطاعاً تاماً تاركاً اياها كأفعى تبحث عمن تنفث فيهِ سمها • وزاد في همها ان مرضت والدتها وماتت فبقيت وحيدة تقارع صروف الدهر وتذكر بدموع الندم النعمة التي كانت فيها فرفضتها فتضع رسالة زوجها امامها وتندب سوء مصيرها بدموع سخية • وعلمت ان البحث عن زوجها لا يجديها نفعاً فاستسلمت للقضآء ورجت ان يسمع بحالتها فيرثي لها ويرجع اليها ولكن كان انتظارها عبثاً • اما لويس فكان قد حمل طفلتهُ وجعل يسير بها متنقلاً من بلدةٍ الى اخرى الى ان بلغ باريس فاقام بها في ناحية كثيرة السكان وهو يود ان يختفي في تلك المدينة الكبيرة ويحتجب بين جماهير سكانها فلا يدري بمكانهِ احد • وكان يشتري اللبن ويغذو بهِ طفلتهُ وهو ينفق عليها وعليهِ من ثمن بعض حليهِ التي باعها في اثنآء سفرهِ • وظن لويس انهُ يسلو زوجتهُ ووطنهُ وما اصابهُ ولكن هيهات فانهُ لم يكن يبرح من امامهِ قط ما وصل اليهِ وما كان قد منى نفسهُ بالحصول عليهِ فازداد غمهُ واسفهُ وعاودهُ فكر الانتحار فزجرهُ ضميرهُ ووقفت صورة تلك الطفلة امامهُ فكاد المسكين يفقد عقلهُ وهو لا يقرّ على رأي

كريشةٍ في مهب الريح طائرةٍ لا تستقرُّ على حالٍ من القلقِ

وكان في ذلك الحين ان الجنرال ناپوليون بوناپرت قصد الزحف على الديار المصرية فما كاد لويس يسمع خبر ذلك حتى وجد حلاً لما اراد وتوجه لساعتهِ فطلب الانتظام في سلك الجندية لعلهُ يجد في مشاقها ما ينسيهِ همهُ او في معامعها ما يخلصهُ من ثقل الحياة • فلما قدم طلبهُ الى الجنرال نظر اليهِ بوناپرت بعينهِ النقادة وقرأ ما يجول في صدرهِ فلم يمانع في قبولهِ وقال لهُ ساجعلك منذ الساعة في معيتي فادخل بهذا الامر الى متولي المعدات وعد اليَّ في الحال باللباس العسكري •

فانحدرت على وجنتي لويس دمعتان وقال اما وقد قبلت سؤلي يا مولاي فاسمح لي ان اغيب ساعة واعود لارافق شخصك ما حييت • فنظر اليهِ نابوليون شزراً وقال ظننتك خلياً لا يمنعك شيء عن مرافقة هذه الحملة اما وقد ظهر لي انك عاشق تبكي على فراق حبيبة فاني لا احتاج الى مثل هذه القلوب الصبيانية • فصعد الدم الى وجه لويس وقال لا تظلمني يا مولاي فلست بعاشق وقد مات قلبي عن حب النسآء ولكن لي طفلةً ساتركها لرحمة الله واود ان اقبلها قبلة الوداع قبل ان افارقها الى الابد وهي لبانتي وقطعة من جسمي • فسألهُ بونابرت عن خبرهِ فقصَّ عليهِ حكايتهُ فتأثر تأثراً شديداً وقال اذهب وعد بالطفلة اليَّ • وبعد حصةٍ من الزمان رجع لويس بابنتهِ فأخذها نابوليون على ذراعهِ وتأمل فيها قليلاً ثم ارجعها الى ابيها وكتب ورقةً فدفعها اليهِ وقال خذ هذه واذهب الى كلية نانت فادفع رسالتي الى رئيستها وقد اوصيتها ان تحافظ على هذه الطفلة وتربيها على حسابي الخاص فسلمها اليها وثق انني ساكون اباً لها في غيابك • فجثا لويس امام الجنرال شاكراً ثم نهض فتوجه الى الكلية المذكورة وقابل الرئيسة فدفع اليها الرسالة • ولما قرأتها قالت سمعاً وطاعةً لاوامر جنرالنا المحبوب ثم مدت يدها لتأخذ الطفلة فاستوقفها لويس وانتزع من عنقهِ السلسلة الذهبية ففصلها وحلَّ القلبين المعلقين بها ثم ارجع نصف السلسلة والقلب الواحد الى عنقهِ وعلق الآخر على عنق ابنتهِ وقبلها بتأثر شديد وسلمها للرئيسة • ولما همَّ بالخروج قالت لهُ الرئيسة انك لم تخبرني عن اسم الطفلة • فقال اسمها • • لويس • • • قالت ولكن هذا اسم غلام وليس اسم فتاة • قال لا اعرف اسم فتاة اسميها بهِ ويحدثني قلبي بان هذه الدقيقة آخر عهدي بهذه الطفلة فسميها بما تشآئين • ولما قال هذا اسرع بالخروج ليخفي كمدهُ ودموعهُ وشعرت الرئيسة بذلك فاخذت الفتاة ودخلت واطلقت عليها من ذلك الحين اسم لويس

وعاد لويس الى الجنرال نابوليون وقد ارتدى بالثياب العسكرية فجعلهُ من المقرَّبين اليهِ وبعد بضعة ايام سافرت الحملة وكل افرادها قلوب حديدية تتوق ان تسير بقائدها المحبوب فترفعهُ الى قمة اعلى هرمٍ في مصر

وفي سنة ١٨٠٠ كانت الجنود الفرنسوية تنتقل في جهات القطر المصري حتى حاذت القاهرة وفازت في معارك هائلة نشبت بينها وبين الاتراك . وكان الجنرال ناپوليون يراقب افعال لويس فرآهُ يرمي بنفسهِ الى اشد المواقف خطراً وهو لا يبالي بنفسهِ فاحبهُ جدًّا واشفق عليهِ لعلمهِ ان اليأس يدفعهُ الى فعل ذلك وتحقق ان لويس لم ينسَ خيانة زوجتهِ فصرَّ ناپوليون باسنانهِ وقال آه من المرأة واقتدارها فهي التي ترفع الانسان الى اعلى مقام وهي التي تضعهُ حتى الى القبر

ولما رأت الدولة البريطانية ان النسر الفرنسوي يكاد ينشر اجنحتهُ على القطر المصري وخشيت ان يتم فأل الجنرال ناپوليون بالاستيلآء على الطريق المؤدية الى الهند جهزت للحال اسطولاً بحرياً وجيشاً عرمرماً فاوفدتهُ الى مصر لمنع الفرنسويين من امتلاكها واخراجهم منها . وبلغ الخبر ناپوليون فارتد الى الاسكندرية ليصدّ الانكليز عن النزول الى البر فقابلهم في ٢١ مارس سنة ١٨٠١ ونشب بين الفريقين معركة عظيمة مشهورة كانت نتيجتها ان أُجبر الفرنسويون على اخلآء مصر فاخلوا الاسكندرية في ٣٠ اغسطس من تلك السنة تاركين فيها عدداً ليس بقليل من القتلى . وكان بوناپرت يسير بين القتلى فرأى جثة لويس فحزن على فقد هذا البطل وترجل فانحنى عليهِ ورفع رأسهُ بين يديهِ وتأملهُ هنيهةً ثم قال « يسوءني فقدك ايها الرفيق ولكنني اهنئك فقد استرحت الآن ايها القلب الكسير » . ومرَّ بعدهُ بقية الجيش فنقلوا القتلى ودفنوهم في تلك الجهات وقد منعهم الوقت من الاحتفال بدفنهم كما ينبغي

. . . .

وبقيت لويزا في ليون سنوات وهي لا تدري ما حلَّ بزوجها وابنتها وزادت حالتها شقآء وضجرت من الاقامة فباعت ما بقي لها في تلك البلدة وسافرت الى باريس فدخلت مستشفى واقامت فيهِ بوظيفة ممرضة وهي تود ان تكفر بعملها هذا عما اسآءت بهِ الى زوجها

وطلبت يوماً لتمريض فتاة في كلية نانت فذهبت فوجدت العليلة فتاة في مقتبل

العمر نحيلة القوام جميلة الصورة وقد استولت عليها حمى قوية غيبتها عن رشدها والى جانبها الطبيب فلما رأى الممرضة فوَّض اليها امر العليلة واوصاها بالادوية اللازمة وطرق المعاملة وخرج • فجلست لويزا بالقرب من السرير وجعلت تتأمل في المريضة وهي تحزن عليها • ثم حانت منها التفاتة فرأت في عنقها شيئاً يلمع تحت قميصها فدفعها الاستغراب الى معرفة ذلك فرفعت طرف القميص وما كادت تفعل حتى نظرت السلسلة والقلب فعرفتهما للحال واذ ذاك اصابتها نوبة عصبية فصرخت وسقطت الى الارض فاقدة الشعور • ودخلت بعد قليل الرئيسة فوجدت لويزا على تلك الحالة فامرت لتنشيقها بعض المنعشات الى ان افاقت وحاولت ان تنقلها الى جانبٍ فأبت ان تبتعد عن سرير النائمة • ولما ملكت روعها طلبت من الرئيسة ان تخبرها عن الفتاة من هي وكيف وصلت اليها • فاخبرتها الرئيسة عن كيفية وصول الفتاة ومن ابيها ورسالة الجنرال نابوليون وكيف ودَّعها والدها وترك في عنقها نصف السلسلة التي كان عنقهُ مطوَّقاً بها • وكانت لويزا تسمع ذلك وينتابها تشنج عصبي يكاد يودي بحياتها • وعادت هي فاخبرت الرئيسة بقصتها وكيف ساقها جهلها وقصر عقلها الى ما فعلت فاضاعت راحة المعيشة وفقدت زوجها وابنتها • فرثت الرئيسة لمصابها ولبثت المسكينة بجانب سرير ابنتها لا تفارقها لحظة وهي تمرّضها بمنتهى العناية والحنان الى ان ملكت تمام عافيتها • فعرَّفتها بنفسها وضمتها الى صدرها بعد ان اعادت عليها تاريخها وجثت امامها طالبة منها الصفح والغفران • ثم طلبت الى الرئيسة ان تسمح لها بابنتها لتأخذها وتعيش معها فقالت الرئيسة اني استلمت هذه الفتاة طفلةً بامر الجنرال بونابرت فلا يمكنني ان اسلمها الاَّ اليهِ او بامرهِ • فصممت الوالدة على الذهاب الى نابوليون وكان قد صار امبراطوراً فتتوسل اليهِ ان يعيد اليها ابنتها ولعلهُ يعرف مقرّ زوجها فيرشدها اليهِ • فلما مثلت امام الامبراطور اظهر لها الجفآء والغلظة في الكلام وانهُ اعطى من نفسهِ عهداً بتربية الطفلة فهو لا يسلم بان تأخذها والدتها لئلاَّ تتعلم منها صفاتها السيئة • ولكنهُ لما رأى دموع التوبة والندم رقَّ لها فاخبرها بما اصاب زوجها وقال لها يكفيكِ من القصاص

أن تتذكري على الدوام انكِ كنتِ انت السبب في قتلهِ • ثم امر ان ترد اليها ابنتها وعين للفتاة مرتباً تتقاضاهُ شهرياً من الخزينة الى ان تتزوج او تموت

واخذت لويزا ابنتها فاكترت لهما غرفةً في بيت واقامت معها فيها وهي تجتهد في تثقيفها وتهذيبها بنفسها ولا تود ان تفارقها دقيقة واحدة • ورغب كثير من الشبان في الاقتران بالفتاة وقد ادهشهم جمالها وادبها فرفضت الفتاة رفضاً باتاً وهي كلما افتكرت فيما اصاب والديها على اثر زواجهما تنفر منهُ وتكرههُ اشد الكراهة • وما زالت مع والدتها السنين الطوال الى ان ماتت الوالدة وهي لا تفتر عن توصية ابنتها عند نفسها الاخير ان لا تحقد على علة شقآئها وانها متى قابلت اباها في السمآء تشهد امامهُ بتوبة والدتها وتساعدها في طلب الصفح منهُ • فبكت الفتاة والدتها اياماً وكانت تزور قبرها كل يوم وهي لا تزال في تلك الغرفة تعيش من المال المعين لها وتوفر منهُ ما شآء الله الى ان انقضت الدولة البوناپرتية فانقطع عنها ذلك الراتب وعادت الى الانفاق مما جمعتهُ

وبعد سنوات عديدة نهضت لويس يوماً فجمعت ثيابها وحوائجها في صناديق واستعدت للسفر • ورأتها صاحبة المنزل فسألتها عن غايتها من ذلك فاجابت انهُ لا ينبغي ان انسى والدي وعلة وجودي فقد جاورت قبر والدتي سنوات فيجب ان اجاور قبر والدي ما بقي لي من العمر • وها انا الآن اقصد الاسكندرية لاقيم فيها فان لم اهتدِ الى لحدهِ فانني اكتفي بان اكون على مقربة منهُ • وحاولت المرأة ان تثني لويس عن عزمها فلم تفلح وجآءت هذه الاسكندرية فاقامت فيها متعزية انها بالقرب من ضريح والدها

. . . .

في اوائل سنة ١٩٠٤ عثر بعض الجنود الانكليزية على مدفن بالقرب من شاطئ الاسكندرية ووجدوا فيهِ رمماً عرفوا من بقايا ملابسها والازرار النحاسية التي عليها انها بقايا جثث ابطال ذلك القائد الفاتح العظيم ناپوليون بوناپرت • واخذ هذا الاكتشاف مكاناً من الاهمية فقررت الحكومة المصرية ان تنقل بقايا تلك

الجثث باحتفال يليق بها وان تسلم الى النزالة الفرنسوية تحفظها مع بقية آثار بطل فرنسا . وكانوا كلما اخرجوا جثة تجتمع جماهير المتفرّجين وكلهم يود ان يرى جثة من جثث اولئك الابطال الذين مرّ عليهم ما يزيد على مئة سنة . وكان بين المحتشدين في ذلك المشهد عجوز بيضاء الشعر محنية الظهر رقيقة الجسم يخالها الناظر جلداً بشرياً قد نشر على هيكل مجرَّد من اللحم تجرُّ نفسها بثقل فتخترق الجمع المحتشد وهي تقول دعوني ارى ابناء وطني الذين عاصرتهم . وكان الجميع يفتحون لها طريقاً اعتباراً لسنها واعترافاً لها بهذا الحق . وكانت كلما اخرجوا جثة تقترب فتتفرس فيها وتقول من يدري ان يكون هذا ليس اياهُ . و بلغت اخيراً جثةً فما وقع نظرها عليها حتى ارتجفت ارتجافاً شديداً ولم تقوَ رجلاها على حملها فسقطت الى الارض بجانبها ثم جعلت تفرك عينيها لترى هل كان ما تراهُ حقيقةً . ثم مدت يدها الى عنق ذلك الهيكل الداثر وقبضت على سلسلة ذهبية فيها قلب ذهبي واخرجت باليد الاخرى سلسلة تشابهها من عنقها فتأملت في الاثنتين وصاحت بصوتٍ يقطعهُ البكاء والتنهد لقد وجدتك اخيراً يا ابتِ بعد مرور هذه الاعوام الطويلة فشكراً لك يا الهي انك لم تحرمني هذه النعمة . اما وقد وجدت جسمك هنا فلم تبقَ في نفسي حاجة وهاءنذا ذاهبة لملاقاة روحك في عالم الابرار ولأقص عليك توبة والدتي ولا شك انك تجيب سؤلي في العفو عنها

وكان منظر هذه العجوز و بكاؤها قد ألان قلوب المتفرجين وهم لا يدرون من امرها شيئاً سوى انها فرنسوية الاصل تبكي معاصريها فشاركوها في البكاء . ونقلت الجثث الى مدفن موقت قبل نقلها الى دار الآثار فرافقت العجوز المشهد وهي لاتكف عن البكاء حتى بلغوا الحفرة واجرت الجنود الاحتفال المعتاد واطلقت بنادقها مودعةً . فلما ابتعدت الجنود عادت العجوز فاقتربت من مأوى الجثة المذكورة وجثت فوقها وحنت رأسها علامة الصلاة ثم رسمت علامة الصليب وانحنت تقبل الارض فطال انحناؤها ولما اقترب بعضهم لينهضها وجدوها قد فاضت روحها
